دراسة أزلية التدبير في الأمور الكونية و علاقتها بالإختيار

ميناشمخى
استاذ مساعد بجامعة شهيد چمران اهواز- ايران
m_shamkhi@yahoo.com

Training in the universe and its relationship to selection

Meena shmakhi
Assistant Professor at Shahid Jamran University Ahwaz, Iran

الملخص:

تستهدف هذه المقالة، دراسة أزلية التدبير و التقدير في الأمور الكونية للقرآن الكريم. فبعد إشارتها إلي الآيات المتناسبة للبحث، تقوم بشرح الكلمات الهامّة، تقدير الأمور في القرآن و ليلة القدر، و وجود أو عدم وجود التنافي بين التقدير و الإختيار. فأهمّ ما توصّل إليه هذا البحث أنّه لم يكن في أصل التقدير، إختلاف و تناقض، لكن يمكن أن يختلف العلم و المعرفة إزاء التقدير.

يأتي حاملو المقدّرات بالمقدّرات من السماء إلي الأرض. العلم الإلهي غير متناه و لاينحصر في أي مكان و زمانٍ و يعلم الله بعلمه الأزلي تقدير كل الأمور، لذا أنّ التقدير أزلي إزاء الكون من جهة و تقدير ليلة القدر إزاء السنة الواحدة من جهة أخري.

الكلمات الدليلة : القرآن - اللوح المحفوظ - ليلة القدر - العلم الأزلي – الإختيار .

Abstract:

This article aims to study the management and appreciation of the Quranic matters of the Qur'an. After referring to the verses that are proportionate to the research, they explain the important words, the assessment of things in the Qur'an and the importance of the Qur'an, and the existence or absence of the rivalry between discretion and choice. The most important conclusion of this research is that it is not in the source of appreciation, difference and contradiction, but science and knowledge can differ in relation to appreciation.

They come from heaven to earth. God's knowledge is infinite and is not confined to any place and time. God knows with his eternal knowledge the appreciation of all things. Therefore, the appreciation of the universe and the appreciation of God's destiny for one year from the other.

Key words : the Koran , the preserved board, destiny, science , choice .

المقدمة

القرآن كتاب حي و بنّاء، تهدي هذه المعجزه الخالدة و المتواصلة الإنسان ويقوده إلي الصراط المستقيم و الأقوم دائماً. يواصل الإنسان طريقة في هذه القيادة وفقاً لأسس و مباني العقل و الفطرة الإنسانية. و يهدي القرآن الناس إلي غاية الكمال و ذروة الحضارة و الإنسانية. لهذا يتميز القرآن عن سائر معجزات النبي(ﷺ) و جميع الأنبياء و تتجلّي عظمته بوضوح و جلاءٍ.

من البديهي أن العالم كلّه يكون خلقة الله و يقع تحت سيطرته و سلطانه. فترجع خلق كل المظاهر إلي مشيته و إرادته. إنّه أذا شاء خلق و أذا لم يشاء لم يخلق شيئاً و لا يثبته . واضح و مبرهن قد تعلّق علم الله العليم بكل الأشياء و بمقادير معينة . لكنّ التقدير و علم الله الأزلي لم يؤدّي إلي سلب الإختيار من الإنسان .(الخوئي، ١٣٨٤: ٥٢٧)

يعتقد البعض أن القرآن يأتي بكلام متناقض في حديثه عن أزلية تدبير الأمور الكونية لِأنّ في بعض الآيات، نجد إشارة إلي تقدير الأمور الكونية و تعيين وضعه في اللوح المحفوظ. لكن الآيات الأخري تتكلّم عن تقدير الأمور في ليلة قدر لكلّ سنة. فكيف نستطيع أن نلائم بين هذه الآيات ؟ في هذا البحث نحاول أن نجيب علي هذا السؤال معتمدين علي الشواهد القرآنية لكي نزيل الشبهة الإحتمالية.

١.دراسة الآيات

١-١. اما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك علي الله يسير.(حديد.٢٢)

شرح المفردات

كلمة (المصيبة) تعني الواقعة و الحادثة التي تصيب الإنسان أو كل شيء آخر. و هي إسم فاعل من مصدر الإصابة، و قد أخذت من إصابة السهم بالهدف، و لو أنّ الإصابة بمفهوم أعم هي الحادثة، لكن تشتمل كذلك علي إصابة الخير و الشر، امّا إستخدام الشر يكون أكثر من الخير. فكلّما أطلقت كلمه (المصيبة)، تتبادر إلي الذهن كلمتي البلاء و التورّط. الآية المذكورة كذلك تكون بهذا المعني. القصد من المصيبة التي تصيب

الإنسان من ناحية الأرض و أبعادها، هي الجفاف و آفات الفواكه و الزلازل المهدّمة و أمثالها و القصد من المصيبة و التي تصيب نفس الإنسان هي المرض و الجراحة و إنكسار العظم و الموت و القتل و إلخ. (الطوسي، بي تا: ٥٣٣/٩؛ المعرفت، ١٣٧٩: ٣٠٨)

«برء» التي هي مصدر لفعل (نبرأها) تكون بمعني الخلق من العدم(الطباطبايي، ١٣٧٤: ٢٩٣/٩؛ الراغب الاصفهاني، ١٤١٢: ٢٥٦/١). القصد من (الكتاب) اللوح الذي قد كتب عليه كل ما كان و يكون و سيكون. كما تدلّ عليه الآيات و الروايات.(الزمخشري، ١٤٠٧: ٤٨٠/٤؛ العاملي، ١٤١٣: ٢٩٤/٣؛ البغوي، ١٤٢٠: ٣٢/٥)

«الكتاب» هنا يعني علم الله و حكمته و تدبيره و القصد منه علم الله و تقديره قبل القضاء و الحكم بخلق الكون. (الطوسي، بي تا: ٥٣٣/٩؛ معرفت، ١٣٧٤: ٤٩٣؛ شاكر، ٤٨؛ ابن شهر آشوب، ١٣٩٢: ١٤٠/١- ١٣٩)

مرجع الضمير في "نبرأها"

هناك آراء مختلفة حول مرجع الضمير في نبرأها، يعتقد البعض أن مرجعه الأرض و الأنفس(الطوسي، بي تا: ٥٣٣/٩) و يمكن أن يرجع إلي (المصيبة). يعني قبل أن نخلقه و ننتزعه من اللوح المحفوظ (الطبرسي، ١٣٦٠: ٣٦٢/٩)

قال البعض: يرجع مرجع الضمير إلي كل هذه الكلمات الثلاثة أي الأرض و الأنفس و المصيبة (المراغي، بي تا: ٣٠/٢٠؛ الزمخشري، ١٤٠٧: ٤٨٠/٤)

مؤيد الإحتمال الأول الذي هو إرجاع الضمير إلي المصيبة يدلّ علي أنّ مقام الآية هو مقام ذكر المصائب التي تحدث في الدنيا و تؤدّي الي النقص في الأموال و الأنفس و كذلك تُؤدّي إلي أن الناس قد أتركوا الإنفاق و تراجعوا عن المشاركة في الجهاد(العاملي، ١٤١٣: ٢٩٤/٣)

تفسير الآية

يشير مدلول هذه الآية إلي مسألة القضاء و القدر و هو عبارة عن علم الله سبحانه و تعالي بكل ما يخلق دون أن يكون علم الله دليلٌ علي تكوين الشيء المعلوم. لأنّ العلم لم يك في تحقّق المعلوم و ظهوره دخيلاً، مهما كان العلم بالمعلوم قبل الخلق و ظهوره أو بعد ظهوره أو متزامن مع ظهوره (القاسمي، ١٤١٨: ١٥٢/٩؛ البغوي، ١٤٢٠: ٥/ ٣٢) هذه الآية هي ذكر التوحيد، لا يختصّ توحيده الأفعالي الكبريائي بفضل أو فضيلة علي

المؤمنين بل أنّه أمرٌ ذاتي و له نصيبٌ كبير من نظام الكون و كذلك به ظهور من فعل وارادة الله في النظام. يشبه الذات الكبريائي المقدس العلم بالمعلومات و بالنظام الإمكاني و النظام الخارج كذلك ظهور نازل من العلم الكبريائي، الذي يسمّي توحيد الأفعالي(الطبرسي، ١٣٦٠: ٢٣٩/٢٤).

تستهدف هذه الآية تأكيد إنفاق المال لرفع حوائج الإجتماعية و العامّة و كذلك التأكيد علي جعل الحوادث المتعلّقة بنظام الخلقة ضمن مقام الفوق و النظام المحقّق في الخارج مرتبة نازلة منه. عبّرت الآية عنه بهذه العبارة (من قبل أن نبرأها) و هي تشير أن كتاب القرآن مقامه عال مقدّم ذاتّي علي حوادث العالم و هو طريق الفيض (الخوئي، ١٣٨٧: ٥٣١-٥٣٠).

تتحدّث هذه الآية عن المصائب فكل الحوادث الإيجابية و السلبية في العالم و كل ما تحدث في النفوس تكون مضبوطة في دفتر نظام الكون و في مرتبة تسبق هذا العالم و لم تحدث حادثة في العالم الاّ أن أحاطه به الله بمشيئة نظراً إلي أن كل الأسباب و الكائنات لم تكن مستقلّة في الوجود و آثارها بل مربوطة تماماً(سيدقطب، ١٤١٢: ٣٤٩٣/٦).

هذه المعرفة و التحرير السابق لم يك مجرد جبر بل يقوّي إختيار و حرية الإنسان كحقيقة غير قابلة للإنكار.

وفقاً للآية (ما أصاب من مصيبة إلاّ بإذن الله) التي تذكر هذه الحقيقة لم يؤثّر عاملٌ و لم تحدث مصيبة إلاّ بمشيئة الله و تلك الظاهرة قد وجدت المطلوب و أدركته و قد إنقادت له طوعاً و إجباراً و يستقرّ نظام الحركة و التحوّل في العالم علي هذا الأساس (ثقفي طهراني، ١٣٩١: ١٥٠/٥).

نعم المصائب التي تحدث في الأرض كالزلازل و الفيضانات و العواصف ، الآفات المختلفة و كذلك المصائب التي تحدث في نفوس الناس كالموت و الولادة و أنواع الحوادث المؤلمة التي تصيب الإنسان كلّها قد قدّرت سابقاً و قد ثبتت في اللوح المحفوظ.

لكن ينبغي أن ننتبه، أنّ المصائب التي قد أشارت إليها هذه الآية، هي المصائب التي لم تك قابلة للإجتناب أبدا و لم تك وليدة أعمال الإنسان بعبارة أخري أنّ الحصرهنا حصرٌ إضافي (مكارم شيرازي، ١٣٧٤: ٣٦٢؛ الطبرسي، ١٣٦٠: ٢٣٩/٢٤).

فلسفة تقدير المصائب في اللوح المحفوظ من نظرة القرآن الكريم

الآية التي ستكشف لنا هذا السرّ الهامّ فتقول: لهذا لكي لاتحزنوا لما فاتكم و لاتفرحوا و لاتغترّوا بما أوتيتم «لكيلا تأسوا علي ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم» (الطوسي، بي تا: ٥٣٣/٩).

في الحقيقة هذه الجملتان القصيرتان تجيبان علي المسائل الغامضة لفلسفة الخلق. لأنّ الإنسان يواجه العالم بظروفه و مشاكله و مصائبه دائماً ويسأل من نفسه غالباً: ما هي هذه الحوادث المؤلمة مع أنّ الله رئوف رحيم؟

يذكر القرآن سبباً له و هو عدم التعلّق بالعالم. هذه المصائب هي إنذار و وعي للغافلين و سوطٌ للنائمين و رمز لزوال العالم و إشارة إلي الحياة القصيرة. في الحقيقة أنّ المظاهر الخادعة لـ (دار الغرور) تجذب الإنسان إليها بسرعة و تلهيه و تشغله عن ذكر الله. فيستيقظ فجأة و الغافلة قد رحلت و هو نائم و البيداء بإنتظاره(نجاتي، ١٣٨١: ١٧٥؛ الطباطبائي، ١٣٧٤: ٢٩٤/٩).

هذا يعني أن الإنسان يترك المواهب الإلهية في هذا العالم و لا يتمتّع بها. المهم هو أن لايصبح أسيراً فيه و لا يعتبره هدفاً و نصيباً رئيسياً. النكتة الجديرة الذكر أنّ كل ما يخسر، يتغير إلي (فاتكم) لكن في المواهب و النّعم المكتسبة قد ينسبه إلي الله و يعبّر عنه (بما آتاكم) . الوجود ينبع عن فيض الله و هو إشارة إلي أن تسجيل هذه الحوادث في اللوح المحفوظ مع كثرته المدهشة تكون سهله لله تعالي (الطيب، ١٣٧٨: ٤٣٧/٢).

تقدير الأمور في الكتاب أو اللوح المحفوظ

وفقاً للروايات كل مظاهر الكون كبيرها و صغيرها تكتب في الكتاب أو اللوح التكويني و هي الصفحة التي يكتب فيها كالورقة، الجلد، الحجر أو كل شيء يكتب عليه. اللوح المحفوظ هو الكتاب الذي قد ذكر فيه كل المظاهر و هو كناية عن علم الله الذاتي و الأزلي لجميع الكائنات دائماً (قرشي، ١٣٧٧: ٣٦/١١).

لم يحدث فيه تغيير و تبديل أبدا و محتواه يبقي ثابت دائماً، نستطيع أن نقول أنّ اللوح المحفوظ هو إناء علم الإلهي؛ لكنّ علم غير محدود و نستطيع أن نعُدَّ اللوح، إناءٌ أو خزانة(ثقفي طهراني، ١٣٩١: ١٥٠/٥؛ المعرفت، ١٣٨١: ٤٦/١؛ محدث خراساني، ١٣٧٢: ٤٠).

العلم الصغير و الكبير، العلم الكلي الذي قد ظهرت فيه المظاهر أو أنها بقيت مستعدّة للظهور و جميع الكائنات لم تصبح وجوداً عينياً أو خارجياً وفقاً لِآراء كثير من المفسّرين، أنّ اللوح المحفوظ هو مقام العلم الإلهي (الخوئي، ١٣٨٧: ٥٠٩؛ راميار، ١٣٦٩: ١٨٧؛ القرضاوي، ١٣٨٢: ٦٠٠؛ مصباح، ١٣٨٠: ٩٥/١؛ معرفت، ١٣٧٤: ٤٩٣)

علم الله الذي يدبّر به أحوال المخلوقات يكون علي نوعين: أحدهما العلم المخزون و هو العلم الذي لايعرفه الاّ الله و أموره المندرجة فيه لم تتغير لكنها تكون قابلة للوقوع مثل بعثة اليوم القيامة، مثوبات الجنّة و عقوبات الجحيم، و خصائص المعاد، الصراط، الميزان و حتي القرآن قد سُجِّل في هذا اللوح.

هذا اللوح معلوم علي النبي(ﷺ) و سائر الأنبياء و الأئمّة و الملائكة و يسمّي اللوح المحفوظ.

الثاني هو (لوح الإمحاء و الإثبات) و يكون متغيراً بواسطة الحكم و المصالح ولم يعرفه أحد إلاّ الله سبحانه و تعالي و قد أعطي الله، الملائكة و النبيين و سائر أوليائه هذا العلم. هو كتاب يحفظ اعمال جميع الناس و غير الناس.

في حين أنّه يشتمل علي جميع أوصاف الحوادث و خصائص الأشخاص و تغييراتهم. لكنّه لايقبل أي تغييرٍ (المعرفت، ١٣٧٩: ٥٢٣؛ الطباطبائي، ١٣٧٤: ٥٨٤/١١؛ الزرقاني، ١٣٨٥:٤٩)

نقل العلّامة الطباطبائي حديثاً عن الإمام صادق (عليه السلام) في هذا المجال: لكل أمر يشاءه الله يكون موجوداً في علمه قبل تكوينه، لايصبح موجوداً أي شيءٍ الاّ أن يكون قبل ذلك موجوداً في العلم الإلهي (الطباطبائي، ١٣٧٤: ٢٩٤/١٩).

دون شك الايمان باللوح المحفوظ و خصائصه يقوّي ايمان العبد بربّه في الأبعاد المذكورة. فيسلّي الباطن و يجعله واثقاً بأنواع الهداية و الأديان و الكتب السماويه التي أظهرها الله علي عباده و سائر الأجواء و الأمور التي يشاء لعباده. كذلك الإيمان باللوح سهّل للإنسان تحمُّل الحياة لجميع قضاياه.

للإيمان باللوح أثر كثير علي صمود المؤمن في طريق الهداية و إهتمامه بإطاعته لله و كسب رضاه و الإبتعاد عن الغضب الإلهي ، لِأنّ المؤمن يعتقد أن كلّ الأشياء مكتوبة في اللوح المحفوظ (محدّث خراساني، ١٣٧٢: ٣٨)

يتبين لنا بهذه الطريقة أن كل الأشياء في هذا العالم لها حقيقة خارجية و تأويل. و تأويل كلّ شيء في الأخير يرجع إلي الله و هذا هو التوحيد الأفعالي، كل شيء لله و يرجع إليه ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾(بقره/١٥٦)

كذلك هناك آيات كثيرة في القرآن تدلُّ علي أنّ الأمور جميعها و كل الأشياء و الحوادث و الأعمال ترجع إلي الله ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾(علق/٨).

الروايات التفسيرية

نقرأ في حديث: عندما جاءوا بالإمام علي بن الحسين(عليه السلام) مكبّلاً في مجلس يزيد، فإلتفت يزيدٌ إلي الإمام (عليه السلام) و قرأ آية من سورة الشوري «ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم» و أراد أن يعلن إنّ مصائبكم هي نتيجة أعمالكم و بهذه الطريقة يشتم. لكن نفي الإمام كلامه و قال: «كلاّ ما نزلت هذه فينا، إنّما نزلت فينا: ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل نبرأها».

يعني كل مصيبة تحدث في الأرض أو في أنفسكم قبل خلقكم كانت مسجّلة في اللوح المحفوظ و لها فلسفة و حكمة (الحويزي، ١٤١٥: ٢٤٧/٥؛ قرائتي، ١٣٨٣: ٤٨٠/٩)

فهم كذلك طلاب مكتب اهل بيت (عليهم السلام) نفس المعني من هذه الآية كما ينقلون: عندما جاؤا بسعيد بن جبير عند الحجّاج و أراد أن يقتله، بكي أحد الحاضرين، قال سعيد: لماذا تبكي؟ أجاب لهذه المصيبة التي حلّت بك قال سعيد: لا تبك، هذه المصيبة كانت في علم الله أن تصبح هكذا أما سمعت قال الله تعالي: ما أصاب من مصيبة في الأرض و لا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأه (الآلوسي، ١٤١٥: ٣٧٥/٩؛ مكارم شيرازي، ١٣٧٤: ٣٦٣/٢٣).

نكات حول هذه الآية

١- الحوادث الطبيعية كالفيضان و الزلزلة اللتان تؤدّيان إلي تخريب المنازل و المزارع هي (مصيبة في الأرض) أو الجراح والموت هي (في أنفسكم) فهي علي أساس النظام الإلهي المقرر لا الأمور العشوائية التي تخرج عن قدرة الله تعالي «إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها».

٢- للكون نظم و قاعدة و كل المظاهر قد ثبتت قبل الوقوع «ما أصاب... إلا في كتاب».

٣- لم تك الحوادث جميعها جديدة لله.

٤- لا تتعجبوا من إحاطة الله علي الحوادث الطبيعية «أنّ ذلك علي الله يسير».

٥- إنّ الله وحده هو الذي يعرف التقدير الأزلي للأمور و مجاريها، و يعرف ماجاء في اللوح المحفوظ.

٦- كلّ ما يحدث في العالم، يتناسق مع ما قدّر في اللوح المحفوظ و لا يتخطّي عنه.

٧- تحرير أي حادثة في أي كتاب لم يعني أنه أصل الفعل، بل تحرير الخصائص أيضا لها دورٌهام.

١-٢. "فيها يفرق كل أمر حكيم" (دخان/٤)

شرح مفردات

فرق: الماده الرئيسية لِ (يفرق) تعني تفكيك الأشياء بعضها من البعض إلي أن تتمايز (راغب الاصفهاني، ١٤١٢: ٤٦/٣؛ القمي، ١٣٩٠: ٢٢٥) كلمه (أمر) هنا بمعني (الشأن) أي العمل (الطباطبايي، ١٣٧٤: ٢٠١/١٨؛ قرشي، ١٣٧١: ١١٠/١)

حكيم: امر حكيم هو عبارة عن الأمر الذي تتمايز ألفاظه بعضها من البعض و لم تتعين ميزاته كما الآية «و أن من شيء الاّ عندنا خزائنه و ما ننزله الاّ بقدر معلوم» (حجر/ ٢١) تشير إلي نفس المعني. و هو توصيف الأمر يعني الأمر الذي فيه حكمة و مصلحة (القمي، ١٣٩٠: ٨٠؛ القاسمي، ١٤١٨: ٤٠٧/٨).

نزول قرآن في ليلة كثيرة البركة

أي ليل هذا هو مبدأ الخير و منبع الطيبات المستقرّة؟

عبّر عن تلك الليلة كثير من المفسرين بليلة القدر. الليلة الكثيرة البركة التي مقدّرات عالم البشرية تأخذ لوناً جديداً مع نزول القرآن، الليلة التي يكتب فيها مصير الخلائق و المقدّرات بصورة متساوية. نعم نزل القرآن في ليلة هامّة علي قلب النبي (ﷺ) (كاشاني، ١٣٦٦: ٢٧٥/٨؛ راميار، ١٣٦٩: ١٨٧؛ خليليان، ١٣٨١: ١٨٦)

جدير بالذكر أنّ ظاهر الآية يدلُّ علي أنّ كل القرآن نزل في ليلة القدر و في هذا المجال نجد آراءً مختلفة، قيل إنّ جميع الآيات القرآنية نزلت علي سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزلت علي قلب النبي(ﷺ) تدريجّياً و كذلك قيل: إنّ بداية نزول القرآن الكريم كان في ليلة القدر (الزرقاني، ١٣٨٥: ٤٨؛ القرطبي، ١٣٦٤: ٢٩٧/٣؛ ابن شهر آشوب، ١٣٩٢: ٣٠٩/٢). كذلك روي عن ابن عباس أنّه قال: تحدّث الله مع جبرئيل و ذلك في ليلة القدر و سمعه جبرئيل و سجّله و قدجاء به إلي سماء الدنيا و سجّلته الملائكة و كتبته، ثم نزل علي قلب النبي (ﷺ) و تمّ تنزيله أثناء ثلاثة و عشرين سنة بصورة تدريجية. و سبب توصيف الليلة المباركة يرجع إلي أن توزيع نِعم الله علي الناس يكون في تلك الليلة و يستمر التوزيع إلي السنة القادمة و تلك الليلة (مكارم شيرازي، ١٣٧٤: ١٥٣/٢١؛ القرطبي، ١٣٦٤: ١٢٦/١٦).

تفسير الآية

للأمور وفقا لقضاء الإلهي مرحلتان: أحدهما الإجمال و الإبهام و الآخر التفصيل.

ليلة القدر كما يتبَين من الآية الكريمة (فيها يفرق كل أمر حكيم) هي ليلة تنتقل فيها الأمور من مرحلة الأحكام و الإبهام إلي مرحلة الفرق و التفصيل. إحدي تلك الأمور هو القرآن الكريم الذي قد خرج من مرحلة الأحكام و نزل في ليلة القدر (يعني أصبح مفهوماً لبني آدم) (الطباطبائي، ١٣٧٤: ١٤٠/١٨).

الحكيم هو وصف أمر يعني الأمر الذي فيه حكمة و مصلحة و لايكون عشوائياً هذا يعني جميع المقتضيات و العلل و المصالح في تعيين المصير تكون دخيلة (قرشي، ١٣٧٧: ٦٦/١٠؛ قرائتي، ١٣٨٣: ٤٨٨/٨؛ محمدي، ١٣٨١:٨٧).

يقول بعض المفسرين: القصد من جملة (فيها يفرق كل أمر حكيم) هو تفكيك المعارف و الأحكام من سائر الأجزاء التي قد ذكرت في القرآن الكريم و هذا لم يك صحيحاً لأنّ ظاهر الجملة (فيها يفرق) يدلُّ علي الإستمرار و التواصل. بعبارة أدق أنّ الأمور الحكيمة كلّها تنفصل بعضها من البعض. دون شك أنّ القصد من الأمور الحكيمة هو الأمور التكوينية و في كل ليلة قدر بعد الأحكام يجيء دور التفريق و التقسيم لكن لا ينبغي للمعارف و الأحكام الإلهية أن يقسما و يفترقا سنوياً (قرشي،

١٣٧٧: ٦٦/١٠؛ ثقفي طهراني، ١٣٩١: ٦٢١/٤؛ الطيب، ١٣٧٨: ٧١/١٢؛ الزمخشري، ١٤٠٧: ٢٠٧/٤).

الله سبحانه و تعالي في تلك الليلة يدفع قضاء كل أمر و يقوّيه لكي لا يكثر و لا ينقص و لا يتغير أبداً. و الوجه الذي ذكرناه هو أكثر وضوحاً بين سائر الوجوه. في تلك الليلة كل الأمور تنفصل بعضها من البعض بأمرنا و هذه الكلمة امّا كانت بمعني (الشأن) امّا كانت بمعني (الأمر) تتعلّق بكلمة يفرق.

هذه الآية توصيف و توضيح لليلة القدر «فيها يفرق كل أمر حكيم»

كلمة يفرق تشير إلي أن جميع الأمور و المسائل الهامّة في تلك الليلة تكون مقدّرة و ذكر (الحكيم) يدلّ علي التقدير الإلهي و عدم التغيير و الحكمة. لكن هذه الصفة عادتاً تذكر لله في القرآن و توصيف الأمور بها يكون للتأكيد (محدث الخراساني، ١٣٧٢: ٣٩؛ مولايي نيا همداني، ١٣٧٨: ١٥٣؛ سيدقطب، ١٤١٢: ٣٢٠٨/٥) هذا الكلام يوافق الروايات الكثيرة التي تقول : في ليلة القدر تتعين مقدّرات كل الناس لسنة واحدة، و تتبين أرزاقهم و أمد أعمارهم و سائر الأمور يقول ابن كثير: في ليلة القدر كل أمور السنة كالأجل و الرزق و كل المسائل الأخري تفضل عن اللوح المحفوظ و تقع تحت إشراف الملائكة المسئولة بهذا الأمر(حسيني همداني، ١٤٠٤: ١٦٤/١٥؛ كاشاني، ١٣٣٦: ٢٧٤/٨؛ مصباح، ١٣٨٠: ٩٥/١)

تقدير الأمور في ليلة القدر

يقدّر الله سبحانه و تعالي أعمال السنة القادمة كالموت و الحياة ، سعة الرزق أوضيقه، السعادة و الشقاوة ، الخير و الشر، الطاعة و المعصية و ... في الآية الشريفة ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾(قدر/١) كلمة (قدر) تدلُّ علي التقدير و المساحة و في الآية ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (دخان/٦) التي نزلت في وصف ليلة القدر تدلّ علي التقدير، لكن مع أنّ كلمة (فرق) تعني التفكيك و تمايز الشيئين بعضها من البعض(قرائتي، ١٣٨٣: ٤٨٨/٨؛ الطباطبائي، ١٣٧٤: ٢٠٢/٨١؛ أحمدي، ١٣٨١: ٤٥؛ معرفت، ١٣٧٤: ٤٩٣).

و فرق كل أمر حكيم لايدلّ هذا المعني فقط بأنّ ذلك الأمر و تلك الحادثة التي ينبغي أن تحدث، تتبين بالتقدير و التخمين. ليلة القدر كما يفهم من الآية «فيها يفرق كل

أمر حكيم» هي الليلة التي تخرج فيها الأمور من مرحلة الإجمال و الإبهام نحو مرحلة الفرق و التفكيك.

الروايات التفسيرية

نقل عن ابن عباس و حسن و قتادة أنهم رووا عن الإمام محمد الباقر(عليه السلام) و جعفر الصادق(عليه السلام): أنّ في ليلة القدر كل أمر مستحكم لم يك فيه زيادة أو نقصان يذكر ثم يفصل كتعيين الآجال و تقسيم الأيام و الأعمال الأخري إلي ليلة القدر القادمة (الطبرسي، ١٣٦٠: ٦٠/٩؛ الحويزي، ١٤١٥: ٦٢٤/٤)

في رواية الكافي عن الإمام الباقر(عليه السلام) أن تفسير الأمر الحكيم الذي نزل في ليلة القدر يكون حكم مستحكم لم يحدث فيه أي إختلاف و الله سبحانه و تعال يقول: يقدر كل أمر مستحكم، في حين أنّه أمر من عندنا و مع أنّ أساسنا مبني علي إرسال الرسل و إنزال الكتب لهذا العطاء و العفو يكون من عندالله علي العباد و الله هو الذي يسمع كل الأدعية و أقوال النّاس و يكون عالماً بحوائجهم و أعمالهم. هو خالق و ربّ و محافظ السماوات و الأرض و كل الكائنات فإذا كان الناس أهل المعرفة و اليقين ينالون هذا التصديق لكن الناس جهلاءٌ و هم يعيشون في الرّيب و الشّك و لم يحاولوا كسب العلم و المعرفة بل مشغولون كالأطفال بالدنيا و لهوها و أهملوا الآخرة (الطباطبائي، ٢٠٣/١٨؛ الحويزي، ١٤١٥: ٦٢٢/٤).

روي زرارة و محمد بن مسلم عن حمران أنّه سأل من الإمام الباقر(عليه السلام) ما هو معني الآية «إنّا انزلناه في ليلة مباركة» أجاب الامام (عليه السلام): أنّ ليلة القدر التي تتكرّر كلّ سنة في عقد الأخير من شهر رمضان، هي الليلة التي لاينزل فيه الاّ القرآن و هي التي قال عنها سبحانه و تعالي: «فيها يفرق كل أمر حكيم».

ثم قال: في تلك الليلة تقدّر كل الحوادث التي ينبغي أن تحدث طوال السنة، مهما كانت شراً أو خيراً، طاعة أو معصية. فكلّما يقدّر و يقضي في هذه الليلة لتلك السنة، هو قضاءٌ حتمي لكن قد يتصرّف فيه الله سبحانه و تعالي بمشيئة (ركني، ١٣٧٩: ٢٨؛ الخوئي، ١٣٨٧: ٥١٥).

نكات هامّة حول الآية

١- في تلك الليلة يتبين و يفصل كل أمرهامّ وفقاً لحكمة الله.

٢- تتكرّر ليلة القدر في كل سنة (يفرق) (فعل مضارع دال علي الإستمرار).
٣- ليلة القدر ليلة المصير.

مقدّرات ليلة القدر تكون للمسائل الهامّة و الأساسية (كل أمر حكيم) أي كل أمر.

٤- الثبوت و التعمّق.
٥- حتمية وقوع بعض الأمور بأمرالله ترجع إلي تحقّق تلك الأمور.

العلم و المعرفة بالمقدّرات الحتمية و الأزلية تختصُّ الله سبحانه و تعالي. فلاتعرف الملائكة المقرّبة و المدبّرة و العباد المنتجبين إلّا سنناً طبيعية و اموراً متغيرة. فلا يعلموا من الأمور الحتمية الاّ ما يقدّر في ليلة القدر لكل سنة.

وجود أو عدم وجود التنافي بين التقدير و الإختيار

هناك تنسيق تامّ بين ما يحدث و بين ما يقدّر. هذا العلم لم يلعب دوراً في تحقّق المعلوم لأنَّ لمظاهر الكون، علل و أسباب تكوينية، و هذه العلل تؤثّر في ظهور الفعل و الإنفعالات التكوينية كما أنّ الأفعال الإختيارية التي تنبعث من الفاعل المختار (الإنسان و الحيوان) لها أسباب مباشرة و هي (ارادة الفاعل) و لم تك جبراً.

يعتمد القرآن الكريم في بعض خلقه لا في كلّها علي القضاء الحتمي و الكتاب المحفوظ.

فهو ينسب القضاء الحتمي للأفعال و الأحوال التي لاتفسد حكم الإختيار، لكن يردّ كلّ ما ينفي حكم الإختيار و ينسبه إلي إختيار الإنسان. لهذا و لو أنّ الله عالم بكل الحوادث التي تحدث إلي الأبد بعلمه الأزلي و يهيئ مجاريها الطبيعية متناسقة مع نظام الكون لكن هذا الأمر لايكن بمعني الإجبار و سلب الإختيار من الفاعل المباشر، خاصّة في الأعمال التي يعملها الإنسان بإرادته و إختياره (اروحاني، ١٣٨١: ١٢٢-٩٧).

النتائج

في اصل التقدير، لم يك اختلافاً و تناقضاً لكن العلم و المعرفة إزاء هذا الأصل يختلفان. يأتي حاملو المقدّرات أي الملائكة و الروح في ليلة القدر التي هي خير من أي شهر بالمقدّرات من السماء إلي الأرض و يجعلنها في متناول يد الإمام المهدي(عج) و يخبرنّه عن مجاري الأمور في تلك السنة.

أشار أهل البيت (عليهم السلام) في رواياتهم إلي هذه الحقيقة بصورة متواترة. لهذا علم الأئمه(عليهم السلام) بمجاري الأمور تنحصر في تلك السنة لكن علم الله غير المتناهي لاينحصر في أي مكان و زمانٍ. مرّد هذا الكلام يرجع إلي ما جاء في سورتي الدخان و القدر إذ جاء بمعني نزول التقدير و التوزيع لا أصل التقدير، لأنه الله يعلم تقدير كل الأمور و المجاري بعلمه الأزلي. لكن في ليلة القدر، ينزّل ما قدّر للسنة الواحدة و يضعه في إختيار الإمام المهدي(عج). لذا التقدير أزلي نسبة إلي الكون من جهة و تقدير ليلة القدر إزاء السنة الواحدة من جهة أخري. بعد ذكر هذه التفاصيل لم يبق مجالٌ لوجود شبهة التناقض بين الآيات المذكورة.

قائمة المصادر و المراجع

- قرآن كريم

١- الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، بيروت، دارالكتب العلمية، الطبعة الأولي، ١٤١٥.

٢- احمدي، حبيب الله، پژوهشي درعلوم قرآن، قم، انتشارات فاطيما، چاپ چهارم، ١٣٨٠.

٣- البغوي، حسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، بيروت، دارإحياء التراث العربي، ١٤٢٠.

٤- ثقفي تهراني، محمد، روان جاويد درتفسير قرآن مجيد، تهران، انتشارات برهان، چاپ سوم، ١٣٩٨.

٥- حسيني همداني، محمد، انواردرخشان، تهران، كتابفروشي لطفي، چاپ اول، ١٤٠٤.

٦- خليليان، خليل، پژوهش موضوعي درقرآن مجيد، تهران، انتشارات فرجام، چاپ اول، ١٣٨١.

٧- الخوبي، ابوالقاسم، البيان في تفسير القرآن، الترجمه: سيد جعفر الحسيني، طهران، دارالثقلين، الطبعة الثانية، ١٣٨٧.

٨- الراغب الإصفهاني، حسين بن محمد، مفردات القرآن، بيروت، دارالعلم، ١٤١٢.

٩- راميار، محمود، تاريخ قرآن، تهران، انتشارات امير كبير، چاپ سوم، ١٣٦٩.

١٠- ركني يزدي، محمد مهدي، آشنايي با علوم قرآن، مشهد، انتشارات آستان قدس، چاپ اول، ١٣٧٩.

١١- الزمخشري، محمود، الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دارالكتاب العربي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧.
١٢- سيدقطب، في ظلال القرآن، بيروت، دارالشروق، الطبعة السابعة ، ١٤١٢.
١٣- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الدر المنثور، قم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤.
١٤- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، انتشارات الفراهاني، ١٣٦٠.
١٥- الطبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، طهران، انتشارات الفراهاني، ١٣٦٠.
١٦- الطوسي، محمدبن حسن، التبيان في تفسير القرآن، بيروت، داراحياء التراث العربي، بي تا.
١٧- الطيب، عبدالحسين، اطيب البيان في تفسير القرآن، تهران، انتشارات اسلام، چاپ دوم، ١٣٧٨
١٨- العروسي الحويزي، عبد علي بن جمعة، قم، انتشارات اسماعيليان، الطبعة الرابعة، ١٤١٥.
١٩- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، بيروت، دارالكتب العلمية ، ١٤١٨.
٢٠- قرائتي، محسن، تفسير نور، تهران، مركز فرهنگي درسهايي از قرآن،چاپ يازدهم، ١٣٨١.
٢١- قرشي ، علي اكبر، أحسن الحديث، تهران، بنياد بعثت، چاپ سوم، ١٣٧٧.
٢٢- قرشي، علي اكبر، قاموس القرآن، تهران، دار الكتب الاسلاميه، چاپ ششم، ١٣٧١.
٢٣- القرطبي، محمدبن احمد، الجامع لِأحكام القرآن، طهران، انتشارات ناصر خسرو، ١٣٦٤.
٢٤- قمي، عباس، فرهنگ واژگان قرآن كريم، ترجمه غلامحسين انصاري،تهران، نشر بين الملل، چاپ چهارم، ١٣٩٠
٢٥- ابن شهرآشوب، محمدبن علي، تفسيرآيه هاي متشابه ومورد اختلاف، ترجمه دكتر حسين صابري، مشهد، انتشارات آستان قدس رضوي، چاپ اول، ١٣٩٢
٢٦- محدث خراساني، علي، خورشيد تابان، مشهد، انتشارات آستان قدس، چاپ اول، ١٣٧٢.
٢٧- المحمدي، كاظم، الغيب السماوي السير في مفاهيم القرآن، طهران، انتشارات وزارة الثقافة، ١٣٨١.

٢٨- المراغي، أحمد بن مصطفي، تفسير المراغي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بي تا.
٢٩- مصباح يزدي، محمد تقي، قرآن شناسي، قم، موسسه آموزشي وپژوهشي امام خميني، چاپ دوم، ١٣٨٠.
٣٠- المعرفت، محمد هادي، العلوم القرآنية، قم، مؤسسة التمهيد الثقافية، الطبعة الرابعة، ١٣٨١.
٣١- المعرفت، محمد هادي آموزش علوم قرآن ترجمه ابو محمد معرفت، بي جا، انتشارات سازمان تبليغات اسلامي، بي نا،١٣٧٤.
٣٢- المعرفت، محمد هادي، التفسير و المفسرون، قم، مؤسسة التمهيد الثقافية، ١٣٧٩.
٣٣- مكارم شيرازي، ناصر، تفسير نمونه، طهران، دارالكتب الاسلامية، ١٣٧٤.
٣٤- مولايي نيا همداني، عزت الله، نسخ درقرآن، تهران، نشر رايزن، چاپ اول، ١٣٧٨.
نجاتي، محمد عثمان، قرآن وروانشناسي، مشهد، انتشارات آستان قدس، چاپ پ‌نجم، ١٣٨١.